إمسح الرمز
لمشاهدة حلقات البرنامج

بصراحة

في السياسة الشرعية ونظام الحُكم وأنماط التديّن
وضرورة التجديد لتحقيق نهضة المسلمين

بقلم
د. حذيفة عكاش

مؤسسة رؤية للفكر

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية ..

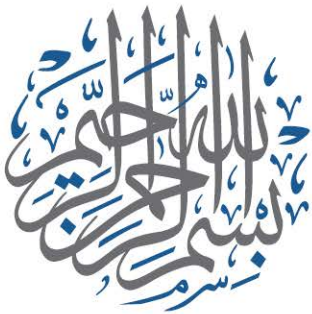

بصراحة

Bİ SARAHA

DR. HUZEYFA AKAŞ

I. Baskı: İstanbul
2022 – 1443

لمشاهدة حلقات البرنامج
ومناقشة المؤلف في التعليقات

بصراحة

في السياسة الشرعيّة ونظام الحُكم وأنماط التديّن
وضرورة التجديد لتحقيق نهضة المسلمين.

بقلم
د. حذيفة عكاش

مؤسسة رؤية للفكر

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية ..

بصراحة

في السياسة الشرعيّة ونظام الحُكم وأنماط التديّن
وضرورة التجديد لتحقيق نهضة المسلمين.

د. حذيفة عكاش

القياس: 14.5 X 21.5 سم
عدد الصفحات : 288 ص
ISBN: 978-625-8063-17-2
الطبعة الأولى
١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مؤسسة رؤية للفكر
مؤسّسة فكريّة
تُعنى بتحرير الفكر النهضوي
إسطنبول - تركيا
Istanbul, Turkey
www.roayafikir.com

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية ..
طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية
www.arabfamilybs.com
+90 212 631 81 09 - +90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com

UFUK neşriyat®
BASIN-YAYIN-DAĞITIM
Sertifika No: 51871

UFUK NEŞRİYATIN.® TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: baskı Yılmaz Basımevi (Mat. Sert. Nu: 49749), kapak baskısı Saikım Ofset'te gerçekleştirildi

شكر وعرفان

ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم أنه قال:

«**لا يَشْكُرُ اللهَّ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ**» رواه أحمد وأبو داود

أتقدم بالشكر الجزيل لوالدي وأستاذي الأول أستاذ اللغة العربية **أحمد عكاش** الذي لطالما وجّهني علميّاً ولغويّاً وسلوكيّاً، وما يزال..

وإلى والدتي الحنون العابدة الحاملة لكتاب الله تعالى، المربية الفاضلة **فاتن العمر**..

وإلى زوجتي الصابرة التي كانت وما تزال نِعم العَون والسَّند في هذه الحياة **قمر عُطفة**..

وإلى **صديق العمر** مَنْ أسأل الله أن يكافئه بفضله وإحسانه..

وإلى أساتذتي وشيوخي الكرام.. وأخصّ منهم
الدكتور عبد الكريم بكّار و **الدكتور جاسم سلطان**
جزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خيراً..

وإلى كلّ مَنْ نَشَر الخير ووقف في وجه الشرّ ولو بشطر كلمة..

إلى هؤلاء كلّهم أهدي هذا العمل المبارَك بإذن الله..

المقدّمة

أحمد الله على فضله وتوفيقه وكرمه، وأصلّي وأسلّم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فكرة الكتاب مستقاة من عنوانه: (**بصراحة**)، حيث تناولت فيه موضوعات جدليّة معاصرة، حاولت أن أناقشها بصراحة، وبنوع من الطرح المعاصر، لأنّ إسلامنا جاء بمبادئ خالدة تحتاج مقاربات تناسب كلّ زمان وكلّ مكان، طبعاً ليست الآراء التي في هذا الكتاب وغيره قطعيّة، لكنّها محاولات قابلة للتطوير والتعديل، فهي محرّضة على التفكير والتأمّل، فما كان فيه من صواب فمن توفيق الله وكرمه، وما كان غير ذلك فأسأل الله ألّا يحرمني أجْرَ المحاولة، بفضله وكرمه، والقاسم المشترك بين الأطروحات كلّها هي:

١- الانضباط بثوابت الإسلام، وهنا عندنا تطرّفان؛ تطرّف يريد تغيير الثوابت، وتطرّف يريد تثبيت المتغيّرات.

٢- العقلانيّة المنبثقة من مقاصد ومبادئ الشريعة الإسلاميّة، وهذا ما يميّز المثقّف المسلم عن غيره.

٣- محاربة الجمود الفكريّ، والاستبداد السياسيّ، فهما -برأيي- أصل الشرور عندنا.

٤- المعاصرة وما تقتضيه من تجديد، وتقديم حلول وبدائل وآليّات معاصرة قابلة للتطبيق في عصرنا.

٥- مراعاة روح العصر المشبَع بقيم الحرّيّة والعدالة والمساواة والكرامة الإنسانية.

أصل الكتاب تفريغ نصّي شبه مطابق بنسبة كبرى تبلغ (٩٩,٩٩ ٪) لما قلته في برنامجي (بصراحة) ألا يذكّركم هذا الرقم بنتائج انتخابات بعض دولنا الديمقراطيّة؟!.. دعونا من السياسة الآن.

هذا البرنامج قدّمته على اليوتيوب، وعرَضَتْه بعض الفضائيّات التلفازية، وكثير من هذه الحلقات في أصلها بحوث أو مقالات كتبتها كتابة علميّة، ثمّ جعلتها حلقات مرئيّة للمساهمة في نشر أفكارها على أوسع نطاق، فأكثر الناس في أيامنا يستمعون ويشاهدون أضعاف ما يقرؤون[1].

وقد أثارت بعض الحلقات جدلاً وحواراً ونقاشاً، وتباينت آراء الناس فيها، ما بين مستحسِن ومشجِّع مستزيد -وهم الأكثر بفضل الله وكرمه-، كثير منهم من شيوخي وأساتذتي الأفاضل، وتفاجأت من تفاعل أفاضل في مشارق الأرض ومغاربها، بفضل الله تعالى، ثمّ بفضل وسائل الإعلام الإلكتروني، التي أزالت الحواجز والسدود، وهذا إنْ دلّ على شيء فإنّما يدلّ على الحاجة الكبيرة لأطروحات إسلاميّة معتدلة ومعاصرة تناسب روح عصرنا.

كما كان هناك أشخاص فضلاء غيورون، وآخرون منتقدون رافضون بعضَ الأفكار المطروحة في الحلقات.

وأزعم أنّ هذا طبيعيّ، فكلّ رأي فيه شيءٌ من الجِدّة والخروج على المألوف، تتباين فيه الآراء، إلى أن ينتشر ويألفه الناس ويتقبلوه، أو يتمّ هجره فيموت.

المهمّ ألّا نيْئَس من المحاولة، فمن طبيعة الاجتهاد أنّه بحاجة إلى بيئة حُرّة، ونحن نتفهّم خوف المتحفّظين، فالكاتب خرج من بين ظهرانيهم، وهو خبير بطريقة تفكيرهم!

(١) بعض الموضوعات منشورة في كتاب بعنوان: (سجالات في التجديد الدينيّ) وهي هناك أوسع وموثّقة علميّاً، فطبيعة الحلقات المرئية أنّها غالباً ما تحتاج تبسيطاً واختصاراً.

لكن لا بدّ من أجواء الحرّيّة، وما يخافونه من (الفوضى) هو في الواقع (ازدهار)، فقد نَقَلَتْ لنا كتبُ أهل العلم القديمة أقوالاً غريبة (شاذّة)، قالها سلفنا الصالح، ابتداء من بعض أقوال واجتهادات علماء الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ومروراً بأقوال أئمة عظام، حكم عليها (أتباعهم) بأنّها غير معتمدة، بل كثيراً ما وصفوها بـ (الشذوذ)!

وهذا أمر طبيعي فما هذه الأقوال إلّا نتيجة حتمية لفتح باب الاجتهادِ والكتابةِ والإبداع والـتأليف، فمن الكمّيّات تظهر -عادةً- النوعيّات الراقية، فالأقوال والاجتهادات الشرعيّة بمثابة نتائج تجارِب علماء الطبيعة، منها الناجح ومنها الفاشل! ومثل المنتجات في المصانع الراقية؛ منها الممتاز، ومنها المضروب، ومثل الأقوال والنظريّات في سائر العلوم؛ منها الصحيح القبول، ومنها المردود والضعيف والمرجوح.

فالباحثون والعلماء في التخصصات كلّها يستعرضون الأقوال وحججها وأدلّتها ومعقوليّتها ومدى مطابقتها للواقع، ومناسبتها له.. ثمّ يرجّحون ويختارون منها الأنسب والأصحّ.

وقد تجد في السواقي ما لا تجده في البحار، وكما يقول علماؤنا: (لكلّ مجتهد نصيب) فحاشا لله سبحانه أن يردّ باحثاً مخلِصاً مجِدّاً صفر اليدين.

ولو أغلقنا الباب أمام الباحثين فسنُحْرم من الكثير، فكيف سنكتشف ضَعْفَ الرأي، دون أن نسمح له بالتعبير عن نفسهِ، والإفصاح عن مكنونه؟ أو إذا كنّا نشترط على من يتكلّم شروطاً تعجيزيّة؟!

نعم.. التخصّص مطلوب؛ بمعنى تحصيل آلة البحث في العلم المراد التأليف فيه، كما أنّ وجود (الحَرَس القديم) مفيدٌ، حتّى لا نبتعد ولا نشطّ.

وأنا من المشجّعين لأنْ يضع كلّ شخصٍ بصمته في تخصّصه الذي فتح

الله به عليه، وألا يموت إلا بعد أن يفرغ آراءه وتأمّلاته وأفكاره كلّها، ونقده الخاصّ جميعه، فيدوّنه وينشره، والأمّة معصومة من أن تُجمِع على خطأ، فسيقبل الناسُ الآراء الصالحة، وسيتجاوزون الشذوذات.

ومن تبع قولاً شاذاً، وهو يعتقد صحّته.. من دون اتباع هوى أو شهوة محرّمة، فإنّ الله تعالى -فضله وكرمه- سيتجاوز عنه، لأنّه لا يكلّف الناسَ ما لا يطيقون، فذلك مبلغهم من العلم.

وقد طالب بعضُ الإخوة الكرام نشر التفريغ النصّيّ للحلقات، لحاجتهم إلى الرجوع إليها، فقراءة المحتوى المكتوب أسرع، والاحتفاظ به أيسر، والبحث عن المعلومات أسهل.

كما أنّ الخلود للكلمة المكتوبة أكثر، والله أعلم، وهذه أوّل خمسين عنوان، أسأل الله البركة والتوفيق للإكمال، فمشروع برنامج (**بصراحة**) أعدّه من أفضل ما أنتجتُ في حياتي العلميّة.

وتيسيراً على الباحثين والقرّاء الكرام، لم أضع تفريغ الحلقات كما كان ترتيبها الزمني في النشر، لأنّني كنت أنشر الموضوع الذي أتفاعل معه دون ترتيب موضوعيّ لكلّ الحلقات، لذلك في هذا الكتاب أعدت ترتيب الحلقات بحسب الموضوعات، فجمعتُ المتشابهات والمترابطات موضوعيّاً، وقسّمتها إلى خمسة أقسام:

أولها: ما يتعلق بالثورة، ونظام الحكم في الإسلام، وسبب التركيز على هذه القضيّة (عشرون حلقة) أنّ ثورات الربيع العربي أعادت للمشهد حوارات وتطبيقات أنظمة حكم مستقاة من الإسلام وتعاليمه وإرشاداته، فكان كثير مما تمّ طرحه غير مناسبٍ لزماننا، وكثير منها مشبَع بروح الإكراه على التديّن، مما ولّد نفرة وجفولاً عند قطاعات عريضة من الأمّة، فكان لِزاماً على أهل العلم والفكر قولُ كلمتهم في هذه النوازل.

الثاني: منهجيّات ومسائل شرعيّة، فيها تصحيح مفاهيم، وتنبيه على أخطاء شائعة في الحقل الشرعيّ.

الثالث: موضوعات الدعوة والإنسانيّة وأنماط التديّن.

الرابع: التعليم الشرعيّ الجامد، وضرورة التجديد.

الخامس: ما يتعلّق بالنهضة والتحضّر.

هذا وأسأله سبحانه أن يبارك بأعمارنا، وأن يوفّقنا لأن نساهم في نهضة أمّتنا، إنّه أكرم مسؤول.

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

الفقير إلى عفو مولاه

حذيفة عكاش

استنبول ١٨/ ٢/ ٢٠٢٢

القسم الأول

ما يتعلق بالثورة ونظام الحكم في الإسلام

١

قصّة فيلم
(التوظيف السياسيّ للخطاب الدينيّ)

فيلم (وِلادة أمّة) يتكلّم عن زمن العبيد في أمريكا في القرن التاسع عشر الميلاديّ.

قصّة الفيلم تدور حول أسرة زنجيّة من أصول إفريقيّة، كانوا عبيداً عند أسرة بيضاء البشرة، يعملون بزراعة القطن، وخدمة الأسرة المالكة للمزرعة.

إحدى هذه الأسر الزنجيّة تُرزق ولداً صغيراً ذكيّاً اسمه (نات)، يتعلّم نات القراءة والكتابة معتمداً على نفسه، لأنّ أسياده البِيض كانوا يعاملون العبيد السود كالحيوانات؛ لا يُسمح لهم بشيء، سوى العمل والأكل القليل والنوم..

فتنتبه الأمّ المتدينة في الأسرة المالكة إلى أنّ نات يعرف مبادئ القراءة فتهتمّ به، وتعلّمه القراءة والكتابة من خلال الإنجيل فقط..

يكبر (نات) ويقدّم مواعظ كلّ يوم أحد لعبيد هذه المزرعة.

يزور المزرعةَ أحدُ الإقطاعيّين، فيلاحظ أنّ العبيد في هذه المزرعة مطيعون ويخدمون بإخلاص، ويعرف أنّ السبب هو الواعظ الزنجيّ (نات)، في حين كانت بقيّة المزارع يعانون من تمرّد الزنوج وسرقاتهم وجرائمهم..

فيذيع صيت (نات) بين الإقطاعيّين، فيستأجرونه ليقدّم المواعظ لعبيدهم، ويجد صاحب المزرعة أنّ هذا أمر مربح، فأصبح يدور به من مزرعة لأخرى من أجل أن يعظ العبيد!

وفي أثناء تنقّل (نات) بين المزارع لإلقاء مواعظه، يرى بعينيه تعذيب العبيد وضربهم وما يقاسونه من ظلم أسياهم.

بينما هو يأتي ليعظهم بالرضا بقضاء الله، وأهميّة طاعة أسيادهم وعدم التمرّد عليهم، حتّى لو كان السيد ظالماً، فكان يعظهم وهو يعاني من صراع نفسيّ، كيف أنّهم يتعرّضون للظلم وهو يدعوهم إلى طاعة أسيادهم، والخنوع لهذا الظلم؟!

وهو يدرك أنّ الإقطاعيين لا يأتون به من أجل نجاة وصلاح العبيد، بل من أجل أن يزدادوا خضوعاً لهم ولا يتمرّدوا عليهم.

حتّى إنّ الظلم وصل إليه شخصيّاً، فقد اعتدى مجموعة من البيض على زوجته، وبعد الاعتداء عليها عذّبوها عذاباً شديداً حتّى شارفت على الموت.

بعدها تتغيّر لهجة (نات) بالوعظ، فعندما يعظ العبيد أصبح يبشرهم بقرب الفرج..إلى أن حصلت الحادثة التي ستغيّر حياة (نات) تغييراً جذريّاً..

حيث يأتي إليه رجل أبيض كان قد سمع به وبمواعظه، ويخبره أنّه يريد أن يدخل المسيحيّة، فيعارض بعض البيض أن (يعمّد زنجيّ رجلاً أبيض!).. فيتجرأ (نات) ويعمّد الرجل الأبيض.. ويدخله في المسيحيّة..

ويصل الخبر إلى سيده فيغضب ويوبّخه على هذا التصرّف، فهل نسي أنّه (مجرّد عبد أسود)!

ويذكّره بآيات طاعة العبد لسيّده، وعدم الترفّع عليه، وهنا بدأ نات يناقش ويردّ عليهم من الإنجيل ويأتيه بالآيات التي تحرّم الظلم، وتأمر بالمساواة.. فيشتاط سيّده غضباً، ويأمر بتعذيبه عذاباً شديداً، ويخبره أنّ مهمّته كواعظ انتهت، ويجب أن يعود للعمل بالزراعة (مثل بقيّة العبيد!).

هنا بدأ نات بجمع العبيد الذين يثق بهم، وأخبرهم أنّه كان يقرأ الإنجيل وينتقي منه الآيات التي تدعو إلى خضوع العبيد لأسيادها، لكن بعد أن صحا

قرأ الإنجيل بمنظور آخر، فوجد أنّ الإنجيل وإن كان يأمر العبد بالطاعة، ولكنّه بالمقابل ينهى السيّد عن الظلم، ويأمر بالمساواة والرحمة..

فيعلن (نات) ثورة مسلّحة لتحرير العبيد من الإقطاعيّين البيض، وتسمع حكومة المقاطعة بالثورة، فيرسلون الجيش ويقضون على الثورة، وينتقمون من السود كلّهم، ليضغطوا على قائد الثورة (نات) حتّى يسلّم نفسَه، فيسلم (نات) نفسه ويقومون بإعدامه.

ثمّ تتلوها ثورات أخرى حتّى ينال السود في النهاية حقوقَهم كبشر في أمريكا!

انتهى الفلم.

ما لفت نظري في هذا الفيلم قضيّة مهمّة جدّاً، وهي (استغلال النصّ الدينيّ)، كيف يستخدم الوُعّاظ النصّ الدينيّ في إخضاع الشعوب، وتذكرتُ علماء السلاطين الذين برزوا في ثورات الربيع العربيّ عندنا، كيف كانوا ينتقون الآيات والأحاديث التي تأمر بطاعة وليّ الأمر، وتحرّم الخروج عليه، وينسون أو يتناسون بل يتعامون عن الآيات الكريمة والأحاديث النبويّة التي تنهى وليّ الأمر عن الظلم، وتنهى عن سرقة المال العامّ، وعن غِشّ الرعيّة، وعن المحسوبيّات، وعن الفساد، تنهى أن يولّى عليهم أحدٌ وفيهم من هو أولى منه، وتصف الذي يسعى إلى تولية غير الكفء، وترك الكفء بأنّه خان الله ورسوله وجماعة المسلمين.. ويتعمّدون عدم ذكر الآيات التي تحرّم قتل الإنسان، وتجعل هدم الكعبة أهون عند الله من قتل مسلم ظلماً..

كيف يقتصر علماء السلاطين في مواعظهم على حقوق الحاكم، فأين حقوق الشعوب المحكومين؟

يتكلّمون عن واجبات الشعب، فأين واجبات الحاكم؟!

هذا التوظيف السيّئ لبعض النصوص الدينيّة، يجعل الناس يقولون: فعلاً (الدين أفيون الشعوب).

والحقيقة أنّ الدين بريء، ففي تعاليمه توازن بين حقوق الحكّام، وحقوق المحكومين.. لكنّ بعض ضعاف النفوس يقفون مع المستبدّ والمتغلّب ضدّ الضعفاء والمساكين من الشعوب المقهورة..

فواجبنا أن نكشف هذا التدليس، وأن نوقفهم عنه، حتّى لا يتشكّك الناس بعدالة دينهم.

اسم الفيلم: ولادة أمّة

بصراحة:

حتّى تولد أمّتنا من جديد يجب أن يعود خطابنا الدينيّ حياديّاً متوازناً وحرّاً نزيهاً، كما أنزله الله تعالى.

يدور مع الحـقّ أينما دار، عصيّاً على أن يُبـاع أو يُشــترى.

٢

فيلم رواية «مزرعة الحيوانات»
(واجبات الثوّار)

قصّتنا تدور حول رواية شهيرة هي (**مزرعة الحيوانات**) للروائيّ الإنجليزيّ جورج أورويل، وهي رواية عالميّة مُنعت في عدّة دول حول العالم.

تدور أحداث القصّة في مزرعة تعيش فيها مجموعة من الحيوانات: صاحب المزرعة إنسان سكّير ظالم يعامل الحيوانات بقسوة.

وفي يوم من الأيّام اجتمع الخنزير الحكيم الطاعن في السنّ بجميع الحيوانات ليحدّثهم عن حلم رآه، خلاصة الحلم: أنّ الحيوانات تستطيع أن تتحرّر من صاحب المزرعة، وتطرده لتسعد بالراحة وتنعم بجميع محاصيل المزرعة دون استغلال من أحد.

وأقنعهم أنّ المشكلات التي يعانون منها كلّها هي «الإنسان»، وأنّ الإنسان كسول ضعيف لولا الحيوانات، وأنّه يستغلّهم في الزراعة والصيد.. ثمّ يذبحهم ويبيع لحمهم.

انفضّ الاجتماع، ومات الخنزير العجوز بعد أيام، وبقيت الحيوانات على ما كانت عليه، إلا ثلاثة خنازير هم (نابليون وسنوبول وسكويلر) لم يتركوا التفكير بذلك الحلم، وبرز هؤلاء الثلاثة شخصيّات قياديّة تدعو إلى أفكار الخنزير العجوز بسريّة بين الحيوانات، ونجحوا بتحويل الحلم إلى هدف عند كلّ الحيوانات..

وذات يوم تمادى صاحب المزرعة في استخفافه بالحيوانات بسبب سكره، فتركها جائعة فترة طويلة، فما كان من الحيوانات إلا أن حطّمت السياج

واتّجهت إلى مخازن الطعام، وعندما شعر صاحب المزرعة بالحركة المريبة اتّجه إليها وبدأ يجلدها بالسياط، وهنا اندلعت الثورة في المزرعة، فقد استشاط جميع الحيوانات غضباً، وطردوا صاحب المزرعة، بعد أن ضربوه ضرباً مبرّحاً.

وأخيراً تحقّق الحلم ونجحت الثورة.. بدأت الحيوانات بعد ذلك بتنظيم المرحلة الجديدة، واتخذت من الإنسان عدوّاً لها، ووضعت مجموعة من الوصايا الكبرى تعتبر كلّ من يسير على قدمين اثنتين عدوّاً، والحيوانات الأخرى أصدقاء.

وتحرّم على الحيوانات النوم على السرير، أو شرب الخمور، أو أن تقتل بعضها.

والذي استلم قيادة هذه المرحلة هم الخنازير الثلاثة طبعاً، إلا أنّ أبرز خنزيرين قياديّين لم يكونا يتّفقان في إدارة المزرعة.

الأوّل (نابليون) صاحب شخصيّة قياديّة قويّة وحريصة على السلطة ويتمتع بذكاء شديد.

والثاني (سنوبول) وكان ذكيّاً أيضاً ومجتهداً، حاول أن يعمل على تطوير المزرعة والرقيّ بها.

قام نابليون بأخذ مجموعة من جراء الكلاب فور ولادتهم ليقوم بتربيتهم بنفسه، وبعد أن كبروا واشتدّوا أطلقهم على خصمه الخنزير الثاني (سنوبول) وطرده من المزرعة.

وقرّب (نابليون) الخنزير الثالث (سكويلر) الذكيّ الفصيح، الذي كان يعمل دائماً على (تلميع) نابليون، (يعني كان بمثابة وزارة إعلام له) وشيطنة الخنزير الثاني (سنوبول)، وراح يقنع الحيوانات بأنَّ (سنوبول) خائن منذ البداية!

وبدأ الخنزير الثاني (سنوبول) يتحوّل إلى العدوّ الأكبر في أعين الحيوانات كلّها، وبدأ يتّهم بالأخطاء والمشكلات التي تجري في المزرعة كلّها.

ومن الأعمال التي قام بها الخنزير الفصيح (سكويلر) أنّه جمع الأغنام وبدأ يحفّظها نشيداً وطنيّاً جديداً، وكانت الأغنام مطيعة طاعة عمياء، تردّد ما يلقنها (سكويلر) بدون تفكير، متى طلب منها ذلك، وكان يستخدمها (سكويلر) عندما تحتجّ الحيوانات، فيرتفع صوت الأغنام عدّة دقائق حتّى يتفرّق الجمع.

وتدريجيّاً وبفضل الكلاب التي تحيط بنابليون وبفضل الفصيح (سكويلر) وجوقة الأغنام بدأ نابليون والخنازير المقرّبون منه يتحوّلون إلى طبقة عليا، وباقي الحيوانات إلى طبقة دنيا.

وبدأ الظلم يعود من جديد، وعند كلّ تفكير بالاعتراض كان الفصيح (سكويلر) والكلاب والأغنام يتولّون الأمر بالترغيب والترهيب.

ومع الأسف كانت الحيوانات لا تتخيّل مزرعة الحيوان بدون زعيمهم نابليون، مهما كان الوضع صعباً، فهو على أيّة حال أفضل من الإنسان، إلا أنّ هذه الحال لم تستمرّ،÷ فبدأت الحيوانات ترى الحقيقة وتكتشف الفساد.

وهنا بدأ نابليون يتعامل مع البشر في المدينة لعقد صفقات تجاريّة حتّى يؤمّن مطالبه وشهواته، ومع أنّ هذا الأمر يعتبر خيانة كبرى إلا أنّ الخنزير الفصيح (سكويلر) أقنعهم بأنّه دهاء شديد من نابليون، والتعامل يجب أن يكون محصوراً بالطبع بنابليون وأنّه لمصلحة المزرعة.

وبالتدريج بدأت الوصايا القديمة تتبدّد وتتبدّل، فالخنازير باتت تنام على الأَسِرَّة في القصر، وتشرب الخمور، وأصبحت في مرتبة فوق الحيوانات، ولم يعد الإنسان عدوّاً لدوداً كما كان من قبل!

من الشخصيّات الرئيسة في القصّة الحصان القويّ (بوكسر) وهو يمثّل الشعوب النشيطة المغرّر بها، كان هذا الحصان قويّاً ومحبوباً من الحيوانات، ويحبّ العمل لأجلها ويرهق نفسه جدّاً وقلّما يستريح، وكلّما تظهر مشكلة أو مظلمة كان يفكّر قليلاً، وحين يتعبه التفكير يقول:

-(سوف أعمل بجهد أكبر، فنابليون دائماً على حقّ).

وبقي هذا شعاره: أن يعمل أكثر وأكثر، لخدمة الحيوانات، وألا يعترض على نابليون.

وبعد فترة تعب بوكسر كثيراً، فباعه نابليون لجزّار أتى وأخذه من الحديقة، وتمّ تصوير الأمر على أنه أُخذ للمشفى للعلاج ثمّ مات.

أحد الحيوانات كان مدركاً كلّ ما يجري، وكان يسخر في نفسه من الحيوانات الغبيّة، وكيف كانت تطيع نابليون الظالم الجديد، لكنّه كان يلوذ بالصمت، فلا يتكلّم بذلك لأحد، ويكتفي بالتمتمة.. وبعد بضعة سنين أصبحت وصايا الثورة الأولى منسيّة تماماً، وظهرت مبادئ وتعاليم جديدة تمجّد الخنازير، وأصبح تغيير الواقع الجديد أصعب بكثير ممّا كان عليه سابقاً.

وكانت المفاجأة عندما خرج نابليون ذات يوم وهو يمشي على قدمين كالإنسان، وكذلك فعلت الخنازير بعد تدريب طويل.

وفي إحدى الليالي سمعت الحيوانات صخباً شديداً في القصر، تسلّلت ببطء واقتربت من النوافذ لتشاهد ما يجري.

فوجدت الخنازير جالسين مع مجموعة من البشر يشربون الخمور، وشاهدت أحد أصحاب المزارع المجاورة وهو يثني كثيراً على نابليون وكيف استطاع أن يدير المزرعة على أتمّ وجه!

ذُهلت الحيوانات وهي تشاهد الخنازير مرتدية الثياب، وجالسة على الكراسي تشرب الخمر وتضحك مع البشر.

وراحت تنقل بصرها من خنزير إلى إنسان، ومن إنسان إلى خنزير، ولم تعد تستطيع أن تفرّق بين قادتهم الخنازير، وبين أعدائهم البشر.

انتهت القصّة.

أهم ما نستفيده من هذه القصّة:

١- الانشغال بالأعمال اليوميّة وعدم التفكير بإصلاح الشأن العام كارثة سيدفع ثمنها كلّ الساكتين في نهاية المطاف، وكلّما تأخّر العمل في التغيير والإصلاح كلّما أصبحت تكلفته أكبر.

٢- الثورة وإسقاط النظام الفاسد وحده لا يكفي، فالهدم سهل، لكن الصعوبة في البناء، والثورة لا تؤتي ثمارها الحقيقيّة بإسقاط المستبدّين فحسب، بل ببناء نظام ديمقراطيّ يضمن تغيير الحاكم الذي لا يدير البلاد بكفاءة، ولا يحقّق مصالح شعبه، فعندما يعلم الحاكم أنّ مستقبله مرهون بصناديق الاقتراع، سيركّز تفكيرَه في خدمة شعبه، لينال رضاه فيصوّتوا له..

عندما يعلم الحاكم أنّ تجديد عقده أربع سنوات قادمة مرهون بموافقة الشعب، سيحسن رعاية مصالح الشعب الدينيّة والدنيويّة، وسيخدم بلده بكفاءة.

بصراحة:

الثقة المطلقة بالقيادة -مهما كانت صالحة- ليست أمراً صحيّاً، وأكبر ضمان لكيلا ننتج مستبِدّاً جديداً هو (الشفافيّة والمراقبة والمحاسبة)، وذلك عبر أربعة أشياء:

١- مجالس النواب التي تمثّل الشعب تمثيلاً حقيقيّاً، ٢- والإعلام الحرّ،

٣-والقضاء المستقلّ، ٤-والمعارضة الفاعلة.

أمّا أن يعرف الشعب فساد الحكومات، ولا يجرؤ على النقد، ولا يملك وسائل النشر أو المحاسبة، فسيستمرّ الفساد ويترسّخ الاستبداد وسيجد آلة إعلاميّة تدافع عنه وتلمّعه، ويوجِد آلة قمع تُخْرِس من يجرؤ على فتح فمه.

د. حذيفة عكاش

من مواليد سـورية، حمـص، 1978م، باحث وإعلامـي إسلامي، مهتم بتجديد الفكر الإسلامي وقضايا النهضة والحضارة والسياسـة الشرعية، له عدة مؤلفـات ومقالات ومحاضرات وبرامج حوارية وفكرية منشـورة، مثل: برنامج بصراحة وبرنامج أخطاء في التفكير.

فكرة الكتاب مشـتقّة من عنوانه: (بصراحة) حيـث تناولتُ فيه موضوعات جدليّة معاصرة، حاولتُ أن أناقشها بصراحة، وبنوع من الطرح المعاصر، لأنّ إسـلامنا جاء بمبادئ خالدة تحتاج مقاربات تناسـب كلّ زمـان وكلّ مكان، والقاسم المشترك بين الأطروحات كلّها هي:

1- الانضباط بثوابت الإسـلام 2- العقلانيّـة المنبثقة من مقاصد ومبادئ الشريعة الإسـلاميّة 3- محاربة الجمود الفكـريّ، والاسـتبداد السـياسيّ 4- المعاصرة ومـا تقتضيه من تجديد ومراعاة لروح العصر المشـبَع بقيم الحرّيّة والعدالة والمساواة والكرامة الإنسانية.

أصل الكتاب تفريغ نصّي لبرنامجي (بصراحة) وقد أثارت بعض الحلقات جدلاً وحواراً ونقاشـاً، وتباينت آراء الناس فيها، ما بين مستحسِـن ومشجِّع -وهم الأكثر بفضل الله وكرمه- وهذا يدلّ على الحاجة الكبيرة لأطروحات إسلامية معتدلة ومعاصرة تناسـب روح عصرنا، وهذا الكتاب محرّض قويّ على التأمّل وإعادة النظر في هذه القضايا التجديدية.

مؤسسة رؤية للفكر
مؤسّسة فكريّة تُعنى بتحرير الفكر النهضوي
www.rayafikir.com

www.arabfamilybs.com
+90 212 631 81 09
+90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية
طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية
UFUK neşriyat
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

ISBN 978-625-806-317-2
9 786258 063172